الفصل الرابع

المنابع الفكرية للنظرية التربوية
عند باولو فريري

obeikandl.com

obeikandl.com

مُقَدِّمَة

نبعت النظرية التربوية عند فريري من واقع مرير تربى فيه ، هذا الواقع البرازيلي المتمثل في الزمان ، والمكان ، قد عرضنا جوانبه المتعددة في الفصل الثاني والذي يمثل التربة الخصبة التي أثمرت نظرية فريري التربوية ، كما عرضنا حياة ونشأة فريري التي كانت بمثابة تاريخ حافل بالعديد من الخبرات أسهمت في تكوين نظرية تربوية متكاملة الأبعاد .

وفي هذا الفصل يكمل الباحث حديثه عن منابع فكرية أخرى للنظرية التربوية عند فريري لا تقل أهمية عن المنابع السابقة ، والتي حددها روبرت ميكاي في المسيحية ، والماركسية ، والوجودية ، والشخصانية ، ويضيف الباحث منبعين آخرين وهما: تأثره بالعديد من المفكرين ، وملامح شخصيته .

يذكر فريري[1] في كتابه﴿تربية الأمل Pedagogy of Hope﴾ : أن هناك كتبا عظيمة ألفها كتاب مرموقون من أمثال :ماركس Marx ، و لوكاتش Lukacs ، وفروم Fromm ، وجرامشي Gramsci ، وفانون Fanon ، وميمي Memmi ، وسارتر Sartre ، وكوسك Kosik ، وأجنيس هيلر Agnes Heller ، و إم . بونتي M.Ponty ، وسيمون فيل Simon Weil ، وأرندت Arendt ، وماركيوز Marcuse ، و آخرون كثيرون كونوا لي فكراً واضحاً في معالمه .

ويضيف كل من جون. ل . إلياس وشارن ميريام[2] John L. Elias & Sharan Merriam :إن فلسفة فريرى لها أصول تاريخية في فكر القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر، والعشرين ، وأصول اجتماعية ترجع إلى الظروف التي عاصرها باولو فريرى في أمريكا اللاتينية ، والتي كان لها أثر واضح في تطور أفكاره .

وفى هذا الصدد أيضاً يشير هنز بتر جرهارد[3] إلى جملة من التيارات الفلسفية منها : الفلسفة الظاهراتية ، والوجودية ، والشخصيانية ، والمسيحية ، والماركسية والأنسية الهيجلية . كما يحدد دينس كولنز[4] Denis Collins خمس تيارات فلسفية أثرت في تشكيل فكر فريرى وهى :

---

(1) Freire,P., (1996). Pedagogy of Hope; Reliving Pedagogy of the Oppressed ,Trans. Robert R. Barr, The Continuum, New York ,p.18

(2) Elias,John L.&Merriam,Sharan. (1980).Philosophical Foundations of Adult Education, Robert E.Krieger Publishing Company, Huntington, New York ,p.139.

(3) هنز بتر جرهارد : باولو فريري (١٩٢١.....) مفكرون من أعلام التربية ، المجلد الأول ، مجلة مستقبليات ، مجلة التربية الفصلية ، المجلد الثالث والعشرون ، مطبوعات اليونسكو ، ١٩٩٣ ، ص ٢٥١

(4) Denis E.Collins,S.J. (1977). Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, New York, Ramsey, Toronato, p. 29

(١) الشخصانية Personalism
(٢) الوجودية Existentialism
(٣) الفلسفة الظاهراتية Phenomenology
(٤) الماركسية Marxism
(٥) المسيحية Christianity

ونعرض فيما يلي لأثر هذه المنابع في صياغة النظرية التربوية عند باولو فريري التي تبناها فكراً وعملاً :

أولاً : المسيحية Christianity

يقول فريري[٥] :كان المسيح واحداً من أعظم التربويين والمعلمين ، وقد أثر في كثيراً كتربوي ، إنني لا أتحدث عن البعد الخارق للطبيعة في المسيح ، ولكنني أتحدث عنه كرجل عادي ، لقد كان هناك ترابط هائل بين أقواله وأفعاله ، وكان محبا ، ودفعني المسيح إلى ماركس ، ولكنني لم أحرم نفسي أبداً من حقي في أن أسأل كليهما . وقد لعبت المسيحية الكاثوليكية دورا بارزا في بنية النظرية التربوية عند باولو فريري ، وهذا يرجع إلي الآتي :

(١) النشأة :

ولد فريرى في أحضان الكاثوليكية Catholicism فقد ربته أمه على المذهب الكاثوليكي ، وهذا له أثر مهم على نظريته التربوية ، وممارساته ، فقد كان مناضلاً في حركة العمل الكاثوليكي ، ولم ينكر فريرى تربيته المسيحية ؛ وفى الحقيقة كان يعتبر المسيحية تقدمية ، ولكنه كان ينتقد كنيسة القاهرين ويعارضها ، ويؤيد الكنيسة النبوية ، وهى كنيسة المقهورين أو كنيسة الأمل ، الأمل الذي يوجد في المستقبل[٦].

وقرر عندما كان بالغاً أن يمارس إيمانه ، ولكن بعيداً عن النمط التقليدي ، وتقليد فريرى هو تقليد لأنبياء العهد القديم ، والمسيح الذين قدموا له أسئلة لاهوتية عن الجوع والعطش والمبيت في العراء ، وأكد أن مواعظ الرب يمكن أن تشل النشاط الإنساني طالما يتم تصوير العالم والتناقضات الاجتماعية كمواقف لا يمكن تغييرها إلى الأبد ، والشخص

---

(5) موراى كوكس: حوار مع باولو فريري،مجلة "أومنى" الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية،أبريل ، ١٩٩٠، ترجمة/ سها حسن، نشرت هذه الترجمة في مجلة جسور، العدد الثاني، سبتمبر ،١٩٩٩، ص٣٣

(6) Gadotti,Moacir, (1994).Reading Paulo Friere;his Life and Work, Trans.John Milton, State University of New York Press, Albany, p. 4

الذي يحاول أن يفسر الظلم الاجتماعي لنفسه والآخرين بأنه إرادة الله إنما يتخبط في مسيحية زائفة ، ويطالب فريرى أن يدخل المسيحيون في علاقات نشطه مع العالم[٧].

(٢) العمل :

عمل فريرى وزوجته في حركة العمل الكاثوليكي ، وعملا سوياً في مجموعات حسنة السمعة في مدينة (ريسايف) وطبقوا إيمانهم المسيحي في الجانب الاجتماعي[٨].

ويقول بيير فورتر[٩] Pierre Furter : إن بعض الناس يرون في فريرى نموذجاً للمسيحية العسكرية التي تكرس وقتها لتحرير المحرومين ، والبعض الآخر يعتبر دوره في الفكر في أمريكا الجنوبية مثل دور هيجل في الفكر الأوربي .

ويذكر هنرى جيرو[١٠] Henry Giroux: إن فريرى وحد بين التاريخ و اللاهوت ، لكي يجد أساساً نظرياً من أجل تربية راديكالية توحد بين الأمل والفعل النقدي والكفاح الجمعي ، ولقد أدت البيئة الثقافية السياسية الاجتماعية الدينية في البرازيل إلى ظهور اتجاه جديد في اللاهوت المسيحي الكاثوليكي عرف بالحركة المسيحية الجديدة ، أو اللاهوت الحديث ، إلى جانب النزعة الكاثوليكية المتشددة التي تقدم ذكرها . إن ظهور النزعة الثقافية السياسية الكاثوليكية المتشددة ، واللاهوت الحديث ، أو المسيحية الجديدة ، باعتبارهما رافدان أساسيان في حركة الوعي القومي ، كان لهما تأثير واضح في تكوين الفكر الذي تولد منه نظرية باولو فريرى[١١].

إن الكنيسة تشارك التربية في عملية التحرير و الأنسنة حين تحث كل فرد على أن يعيش مناقشاً ، وفاعلا ، ومغيراً ، ومبدعاً في كل أبعاد حياته[١٢]. ويظهر تأثير المسيحية على فريري في بعض النقاط التالية :

---

(7) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, Op. Cit.,pp.33

(8) Makie, Robert, (1981).Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & Revolution; The Pedagogy of Paulo Freire", by Robert Makie, (ed.),Continuum, New York, p.102

(9) Furter,Pierre, (1985).Profiles of Educators ; Paulo Freire, In,"Prospects", Quarterly Review of Education, Vol. XV,No2, p. 302

(10) Giroux,H.,(1985).Introduction, In, The Politics of Education ;Culture, Power and Liberation, by Freire,P. Trans. Donaldo Macedo, Bergin & Gravery Publishers, INC., Massachu(10) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, Op. Cit.,pp.33

(10) Makie, Robert, (1981).Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & setts,Op.Cit., pp.xvii-xviii

(11) عبد الراضي إبراهيم محمد : نظرية باولو فريرى في تعليم و تنمية الكبار ، دراسات تربوية ، مجلد ٩ ، جزء ٦٧ ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٠

(12) Devis,Rex,(1981). Education for Awareness; A talk with Paulo Freire, In," Literacy&Revolution; The Pedagogy of Paulo Freire", by Robert Makie, (ed.), Op. Cit.,p. 69

(أ) اشتقت بعض القيم عند فريرى من المسيحية الكاثوليكية ، وكان من أصحاب لاهوت التحرير الذين يتحدثون عن تأويل جديد للكتاب المقدس ، ويستند لاهوت التحرير في التطبيق العملي إلى جدل بين التجربة الحياتية للفقراء وكلمة الله في الكتاب المقدس عند الكاثوليك ، ويرجع نقدهم للنظام اللاهوتي إلى[١٣]:

١- وجود مستويين هما الطبيعي وما فوق الطبيعي .

٢- مطالبتهم للاهوت بالاعتماد على أدوات التحليل الاجتماعي .

٣- تبنوا مفاهيم التبعية وألقوا عليها التبعة عن أحوال أمريكا اللاتينية ، بسبب هيمنة المركز على الأطراف، ورفضوا النموذج التنموي الغربي ، لصالح نموذج شدد على التحرر من البني المستبدة وعندهم أنه لا يتحقق التحرر إلا عبر الثورة ضد عنف المؤسسات في النظام الرأسمالي .

٤- التأثير على الطابع الأيدلوجي لمعظم علم اللاهوت ، وعلم الاجتماع ، ومفهوم الاتحاد صار مفضوحاً ؛ لأنه مضلل .

٥- الحاجة إلى توعية الفقراء والمضطهدين ، وكيف أن العمل الجماعي يستطيع تغيير هذه البني .

ومن هنا انطلق لاهوت التحرير من منهجية استقرائية تنبع من معطيات الواقع الفعلي، لتصل إلى مبادئ عامة وهذه المنهجية محتومة بطابع الاستقامة اللاهوتية والإيمان الخلاق الذي يعتبر هدفاً مبدئياً ، ويتضمن توجها راديكاليا نحو الفقراء كمجال مفضل للممارسة اللاهوتية ، ويركز على التيار التربوي ، وعلى التعليم كممارسة تحريرية ، ويمثله باولو فريرى[١٤].

(ب) كما نجد مفهوم التوعية Conscientization **نتج عن تأثره باللاهوتيين ، ولنأخذ في الاعتبار هذا التأثر حتى يمكن التعرف على تزاوج فكرة الوعي النقدي الراديكالي ومقولاته عن الله والإيمان والكنيسة ،كما تأثر فريرى بالبابا يوحنا الثالث والعشرين** John XXIII Pop **،فقد استعار فريرى مآثر هذا البابا في كتاب تربية المقهورين[١٥].**

---

(13) باولو فريري : الفعل الثقافي في سبيل الحرية ، ترجمة / إبراهيم الكر داوي ، القاهرة ، إصدارات مركز الدراسات المعلومات القانونية لحقوق الإنسان ، ١٩٩٥ ، ص ٧

(14) وليم سيدهم : لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية ، الطبعة الثانية ، لبنان ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٩٣، ص ص ١١١ ، ١١٢

(15) Makie, Robert,(1981).Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & Revolution; The Pedagogy of Paulo Freire",by Robert Makie, (ed.),Op.Cit.,pp. 97-98

(ج) انعكس ذلك أيضا في أقواله وهي : هاجم فريري[١٦] الكنيسة التقليدية ، ويقول :إن هؤلاء الذين يصرون علي حيادية الكنيسة ، بحيث يكون دورها في التوافق مع المختلف عبر حد أقصى من الاستقرار الاجتماعي ، فهم ينفوا عنها البعد النبوي ، ويحل مكانه الخوف من التغيير، والكنيسة التي ترفض التفاعل التاريخي ،هي كنيسة لم تعد مشتركة في التاريخ ، وفي الحقيقة هؤلاء الذين يعظون بأن الكنيسة خارج التاريخ يناقضون أنفسهم في الممارسة لأنهم يضعون أنفسهم بطريقة أتوماتيكية في جانب هؤلاء الذين يرفضون أن يسمحوا للطبقات المقهورة أن تكون .

وفي موضع آخر ، يذكر فريري[١٧] : أن هذا النوع التقليدي من الكنائس هو موجود عادة في مجتمعات متخلفة ومنغلقة ، وغالبا زراعية ، تعتمد علي تصدير المواد الخام لديها أسواق داخلية صغيرة ، وثقافتها هي ثقافة الصمت ، والتغير النوعي في وعي الناس هو أن يتغلبوا علي رؤية الكنيسة كمأوى للجماهير .

وتأثر فريري[١٨] أيضاً بالأب﴿ تشينو﴾ حين ينقل كلماته لمقاومة هذا الواقع قائلاً : كثير من القساوسة الذين يحضرون المجلس وغيرهم من المثقفين يخشون ضرورة أن نصدر احتجاجا عاطفياً لإدانة الفقر وعدم العدالة ودون أن نتعمق في تحليل الأسباب التي أدت إلى ذلك حتى ندين النظام الذي كرس عدم العدالة والفقر .

ثانياً : الماركسية Marxism

ترجع جذور الفلسفة الماركسية إلى بعض الفلاسفة المتطرفين من الجناح اليساري الهيجلي الذين لم يهتموا بتفسير هيجل بقدر اهتمامهم باستعمال بعض أفكاره ليحولوا المثالية الميتافيزيقية إلى فلسفة مادية ومن بين هؤلاء الفلاسفة نذكر فيورباخ Fauerbach (١٨٠٤ ـ ١٨٧٢) وكذلك أرنولد رج Arnold Rug(١٨٠٢ ـ ١٨٨٠) وقد كان لمبادئهما الفلسفية تأثير كبير على أفكار ماركس و انجلز ، وتطور فلسفتهما التي عرفت بالماركسية وانقسمت فيما بعد إلى اشتراكية SocialismوشيوعيةCommunism[١٩]..

---

(16) Freire,P.,(1973).Education,Liberation and the Church, Study Encounter, SE/38, Study Encounter, Vol. IX / No.I.,p. 5

(17) Ibid., p. 10

(18)باولو فريرى: تعليم المقهورين، ترجمة/ يوسف نورعوض، لبنان، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٠، ص ١٢٨

(19) نوال الصراف الصايغ : المرجع في الفكر الفلسفي ، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي والتفكير العلمي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢، ص٢١٩.

تتحدد الفكرة الأساسية في الماركسية في أن العامل الاقتصادي هو محور الحياة الاجتماعية ؛ فالإنسان منذ ظهوره على الأرض يقوم بنشاط اقتصادي ليعيش ، كما يؤمن الماركسيون بوجود صراع طبقي دوما بين المستغلين و المستغِلين ويزول هذا الاستغلال إذا اختفت الطبقات من المجتمع ، والطبقات لن تختفي إلا إذا أصبح المجتمع اشتراكيا ، ولا تعترف الماركسية بالذكاء ، و الاستعداد المسبق والجاهز ، ولكنها تؤمن بخلق الذكاء وخلق هذا الاستعداد من خلال البيئة[٢٠].

وظهر تأثير الماركسية على فريري بطريقتين وهما : كتابات ماركس ، أو المفكرون الماركسيون في النقاط التالية :

لقد أثارني ماركس كثيراً ، وقدم لي الأدوات التي مكنتني من فهم تناقضات المجتمع ، وحررني ، وجعلني أشعر بالسخط ، وساعدني في فهم سخط المسيح عندما طرد جباة الضرائب من المعبد[٢١].

استعار فريري مفهوم الاغتراب Alienation **من ماركس للهجوم على الرأسمالية ، فيقول فريري[٢٢] في كتابه﴿التربية في محك التطبيق : رسائل إلي غينيا بساو** Pedagogy Process;The Letters to Guinea-Bissau In**﴾: إن التعليم في النظام الرأسمالي يسعى إلى إعادة إنتاج الطبقة ، وهذا يتطلب كفاءة من العمال لكي يشاركوا في هذه العملية ، كما وضحها ماركس بقوله : أن الأشياء تشترى من قبل الرأسمالي و هذه الأشياء تنتمي إليه . وفى موضع آخر يقول فريري[٢٣] : ومن أبرز مظاهر الاغتراب والعزل الثقافي ذلك الذي يمارس تحت شعار تنمية المجتمع حيث تقسم المنطقة إلى مجتمعات محلية دون دراسة عميقة لطبيعة هذه المجتمعات ككل متكامل في إطار واقعها الخاص من جهة وكجزء من المجتمع الكبير من جهة أخرى .**

---

[20] عز بر حنا داود : التربية النضالية ضرورة للشعب العربي ، مجلة دراسات تربوية ، سلسلة أبحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة،المجلد الثالث،الجزء العاشر، القاهرة ، يناير ، ١٩٨٨، ص ص١٩ ، ٢٠ .

[21] مورای کوکس : حوار مع باولو فريري ، مجلة "أومنى " الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، أبريل ، ١٩٩٠ ، ترجمة / سها حسن ، مرجع سابق ، ص٣٣.

[22] Freire,P., (1978).Pedagogy in Process, the Letters to Guinea Bissau, Trans. Carman St.,Hunter, John.The Seabury Press, New York,pp.108/109 .

[23] باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص١٠٦.

ويقول فريرى[٢٤] في كتابه المشترك مع مايلز هورتون Myles Horton بعنوان﴿ نحن نصنع الطريق بالسير عليه We Make the Road by Walking﴾:وهذا – جرا مشى – عندما قابلته في بعض الكتب ، أنا أقول:﴿ قابلت ﴾ لأن بعض الكتب مثل الأشخاص ، عندما أقابل بعض الكتب أعيد صياغة ممارستي نظرياً ، وأصبح قادراً على فهم النظرية داخل فعلى .

وتأثر فريري بالنظرية الثورية للزعيم الماركسي لينين ، حيث يقول : بدون نظرية ثورية لا يمكن أن يتولد عمل ثوري ، فبقدر ما تحتاج الثورة إلى التنظير فإن قادتها ملزمون بأن يقفوا إلى جانب الناس مشاركين لهم في مقاومة الطغيان[٢٥].

كما تأثر فريرى بالقادة الثوريين من أمثال أملكار كابرال ، وتشي جيفارا Guevara Chel الذي اعتبره مثالاً يحتذي به للقيادة الثورية الأصيلة التي أعطت الحوار مع الشعب أهمية كبرى ، ويقول : كلما درسنا أعماله وأمعنا النظر فيها أدركنا مكانته[٢٦].

ويذكر فريري[٢٧] في موضع أخر كل من تشى جيفارا Che Guevara وكاميليو توريس Camilo Torres قائلاً: إن تشي جيفارا هو مثال للقيادة الثورية التي تولي للحوار مع الشعب دورا كبيرا ، فكلما درسنا أعماله ، كلما زادت لدينا القناعة بأن أي فرد يريد أن يكون ثوريا لابد أن يكون متفاعلا مع الجماهير، و جيفارا أحد الأنبياء العظماء للشعوب الصامتة من العالم الثالث ، وعلى الجانب الآخر ، لم يصبح توريس من رجال حرب العصابات بسبب اليأس ولكن بسبب حبه للرجال ، فهو يحلم برجل جديد مولود من خبرة التحرير .

تأثر فريري بالزعيم الغيني أملكار كابرال Amilcar Cabral بدرجة كبيرة ، وقد أفرد فريري كتاباً شمل جميع الرسائل التي بعث بها إلي كابرال ، وهو: ﴿ Pedagogy In Process; The Letters to Guinea-Bissau ﴾، وكان خلاصة خبرته في دولة غينيا بساو ، ويقول فريري[٢٨] تعبيرا عن حبه لكابرال : كلما درسنا الأعمال النظرية لكابرال ،

---

(24) Horton;Myles&Freire,P. (1990).We Make The Road by Walking, Conversations on Education and Social Change, by Brenda Bell et al.(ed.) Temple University Press, Philadelphia, p. 36

(25) باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص ٩٣

(26) Freire,P. (1970).Cultural Action for Freedom,Published by Harvard Education Review, Monograph Series,No.1,Massachutsetts, p.45

(27) Freire,P., (1985). The Politics of Education; Culture, Power and Liberation, Trans. Donaldo Macedo, Bergin & Garvey Publishers,INC,Massachusetts,p. 84>

(28) Freire,P.,Pedagogy in Process, the Letters to Guinea Bissau, Trans. Carman St., Hunter, John., Op.Cit., p. 77>

كلما أدركنا أننا لابد أن نعود مراراً وتكراراً إلي أعماله ، فهي بحق تعبير عن خبراته العملية مع شعبه ، فتحليلاته لدور الثقافة في الكفاح من أجل التحرير لا يمكن أن يختزل في لحظة تاريخية عن الحرب .

إن التأمل والفعل لا يتم انفصالهما عن بعضهما البعض ، وقصة حياة فريرى تفسر انجذابه إلى التفسير الماركسي للتاريخ والثقافة ، وهذا الاتصال الأولى بالمادية الجدلية بدأ مع تأثير ماركيوز على فريرى في تحليلاته للعقل السلبي في المجتمعات الصناعية والتعليم البنكي، بينما ظهر تأثير فروم في تحليلاته لظاهرة التشئ Thingification والحرية النفسية ، وخاصة فى محاوراته عن الديمقراطية كنضال سياسي[٢٩].

كما تأثر فريري بكتابات ألبرت ميمي ويقول فريري[٣٠] : يشير ألبرت ميمي في تحليله الرائع للعقلية المستعمرة في كتابه﴿المستعُمرون ، والمستعِمرون ﴾إلي مدى الامتعاض الممزوج بالانجذاب العاطفي نحو المستعمرين ، ويقول كيف يمكن للمستعمر أن يعتني بعماله إذا كان من وقت لآخر يستخدم بندقيته ضد جمع من المستعِمرين وكيف للمستعمر أن يتجاهل هذا الواقع ليبالغ في مطالبه ، و كيف يجمع المستعمر بين كراهيته للمستعمر وإعجابه العاطفي به ـ لقد شعرت نفسي بهذا النوع من الإعجاب.

و يضيف جيم ووكر[٣١] Jim Walker القول بأنه : عندما نظر فريرى إلى الو اقع الاجتماعي حوله وجد تطرفات في الثروة ، والفقر، والقوة ، والضعف ، والرفاهية ، والانحطاط ، وأن الكنيسة تدافع عن هذا الوضع مما جعل فريرى مدفوعاً إلى التفسير الطبقي كما ينادى به ماركس . ولكنه بخلاف الماركسيين المتشددين Orthodox ، احتفظ بموقفه الديني ، وأمدته الماركسية بالنظرية الاجتماعية .

وفي موضع آخر يقول جيم ووكر [٣٢] Jim Walker : إن فريرى يؤمن بأن المجتمع يتكون ضروريا من قطبين متناقضين ؛ القطب المهيمن والقطب المهيمن عليه Dominating Pole and Dominated Pole، وهذا التناقض يحل طبقاً لماركس بطريقة جدلية Dialectically تنتهي بأن يهزم المهيمن عليهم المهيمنين ، وهذه هي الثورة، ولكن يشدد فريرى على أن الثورة تتطلب وجودا Existent ليس فقط للأقطاب ولكن

---

(29) Godonoo,Prosper, Tribute to Paulo Freire, His Influence on Scholars in Africa, In, Convergence, UNESCO Publications,Op.Cit.,p.33 >

(30) باولو فريرى : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص٤٢.

(31) Walker,Jim, (1981). The End of Dialogue,Paulo Freire on Politics and Education, In,"Literacy & Revolution;The Pedagogy of Paulo Freire ",by Makie,Robert (ed.) Continuum, New York, p.129

(32) Ibid.,p. 137

لمجموعة من القيادات التي تستطيع أن تذهب في أي طريق وتكون مسئوله إما عن الثورة أو غيابها .

ويرى ريتشارد جيبسون [٣٣] : أن فريرى و أعماله عن التناقضات بين الهيمنة والأنسنة Domination Versus Humanization إنما جاءت من أفكار ماركس عن الاستغلال والثورة Exploitation and Revolution وهذه التناقضات جاءت من المبادئ الرئيسية للماركسية التي تبناها فريرى .

كما أرجع ريتشارد جيبسون[٣٤] تأكيد فريرى على المذهب الجدلي المادى في تفسير التاريخ إلى الشيوعي التشيكي كارل كوسك Karl Kosik ، وقد ظهر أثره على فريرى عندما اعتبر الأخير أن البشرية ذوات واعية للتاريخ ، كما أن كل نظرية فريرى عن التوعية لها جذور عند هيجل .

ويوضح بن آجر[٣٥] Ben Agger : أن فريرى حاول أن يفهم البعد السياسي لتعلم الفرد ، ويسمح للأميين والفلاحين من أمريكا اللاتينية المهيمن عليهم أن يستعيدوا القدرة السياسية والفكرية ومن ثم يأتي التحرير . ويرجع دينس كولنز[٣٦] Denis Collins اهتمام فريرى بالماركسية إلى الأسباب الآتية :

(١) قصة حياة فريرى جعلته يصب اهتماماً على التفسير الماركسي للتاريخ والثقافة، ويؤخذ على فريرى أنه رجل المتناقضات في تصوره الماركسي للإنسان ككائن ثوري وقبوله بالحوار

(٢) اعتبار فريرى من أمريكا اللاتينية حيث وجدت التناقضات بين الأغنياء ، والمحرومين والأقوياء والضعفاء ، جعلته يرى الحياة لا تعدو كونها كفاحاً لصالح جزء أكبر من الإنسانية .

ويرد فريرى[٣٧] على نقد الذين اتهموه بالماركسية ، بأنه استعار كلمات من ماركس ويقول مستشهداً يقول أفلاطون : إن الكلمة المكتوبة لا يمكن الدفاع عنها حينما يساء

---

(33) Gibson, Richard.(1994).The Promethean Literacy;Paulo Freire's Pedagogy of Reading, Praxis and Liberation, Copyrighted Dissertation, the Pennsylvania State University,p. 81

On Line; Site : www.google.com/ Paulo Freire

(34) Ibid.,p.4

(35) Agger,Ben, (1979).Western Marxism; An Introduction, Classical and Contemporary Sources, Good Year Publishing Co., INC., Santa Monica, California, p.335.

(36) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, Op. Cit.,p.32.

(37) Freire,P., Pedagogy of Hope; Reliving Pedagogy of the Oppressed ,Trans. Robert R. Barr, Op.Cit.,p.88 .

فهمها . كما يقول إن منتقديه لم يأخذوا في الاعتبار نقطتين أساسيتين وهما : الأولى : أني لم أمت ، و الثانية : أنى لم أكن قد كتبت ﴿تربية المقهورين﴾ ولكن فقط ﴿التربية كممارسة للحرية Education As a Practice of Freedom﴾ . وأنا أقول بأن عملي هذا موجه إلى الراديكاليين على الرغم من أن المسيحيين والماركسيين سيختلفون معي سواء كان ذلك بصورة شاملة أو جزئية[٣٨]. ولذا يتبنى فريرى ماركسية إنسانية ، وهم يؤمنون بمثالية الوحدة البشرية ، ويطبقون ذلك في سبيل الإنسانية ، وكثير من عناصر الاشتراكية الإنسانية تعتبر مكوناً أساسيا لفكر فريري عندما أكد الوظيفة التربوية الثورية ، ألحق الثورة كمكون أساسي لتربية المقهورين[٣٩].

وفى سياق توضيح موقف فريري من الماركسية يرى ستانلى . م . جرابوسكى[٤٠] Stanley M. Grabowski أن فريرى رفض الماركسية المتشددة ، وأنه شدد على رفضه لليمين المتطرف واليسار المتطرف ، واتخذ موقفا معتدلا . وعليه فقد نقد الماركسية ، وقال : إن واحدة من أخطاء للماركسيين الميكانيكيين هو العيش بدون تفكير ، أو في ثبات لأن هذا جزء من التركيب الأعلى للمجتمع[٤١] .

* ويمكن إجمال أثر الماركسية على فريري فيما يلي :

١- استفاد فريري من الاتجاه الجدلي في تفسير التاريخ عند ماركس ، ولكن لم يكن ماركسيا ، وانتهي إلي نقد الماركسية الميكانيكية التي تلغي دور التربية في التغيير ، وتؤجل نضال الإنسان في سبيل الحرية الاجتماعية ، وتعادي الديمقراطية .
٢- استعار فريري مفهوم الاغتراب من الماركسية .
٣- ربط فريري بين السياسة والتعليم .
٤- إيمان الماركسية بحقوق العمال ودورهم الاجتماعي ، جعل فريري يشترك في حزب العمال ويتولى مسئولية لجنة التعليم .
٥- استفاد فريري من أعمال وكتابات الزعماء الماركسيين من أمثال تشي جيفارا، وكابرال .
٦- استفاد فريري من التحليل الماركسي لتوضيح العلاقة بين القادة والجماهير .

---

(38) باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص٢١.

(39) Makie, Robert (ed.),Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & Revolution;The Pedagogy of Paulo Freire", by Robert Makie, (ed.), Op.Cit., pp.105-106.

(40) Grabowski,Standley, M., (1997). Paulo Freire; Revolutionary Dilemma for The Adult Educator, Syracuse University Publications, Continuing Education,p. 2 .

(41) Freire,P., (1998). Teachers as Cultural Workers;Letters to Those Who Dare Teach, Trans.Donaldo Macedo, Dale koike and Alexandre Oliverire, Westview Press, Oxford,p.67.

ثالثاً : الوجودية Existentialism

الوجودية كما يدل عليها لفظ ﴿وجودية هي فلسفة الوجود الإنساني وهي تستند إلى مبدأ أساسي سهل بسيط هو أن وجود الإنسان هو ما يفعله ، وأفعال الإنسان هي التي تحدد وجوده وتكوينه ، ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله ، فوجود كل إنسان بحسب ما يفعله وذلك ضد مذهب القائلين بالماهية﴾ أي الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان عنها تنشأ أفعاله ، ووفقاً لها يحكم عليه ، وبها يتحدد وجوده[٤٢].

* تتميز الوجودية بعدة مبادئ رئيسية كما لخصها محمد نبيل نوفل[٤٣] وهى :

(١) الإقلال من أهمية التربية المنظمة والتعليم الهادف الموجه .

(٢) ضآلة تأثير العوامل الخارجية في تكوين الشخصية ونموها .

(٣) المحافظة على الفردية .

(٤) احتواء المعرفة على معارف تساعد الطلاب على التعرف على ذواتهم وعالمهم الداخلي.

(٥) لا توجد قيم خلقية مطلقة تصلح لكل مجتمع ، ولكل زمان .

ظهر تأثير الوجودية على فريري من خلال كتاباته ، وأكدها من كتب عنه وهذه بعض منها: يقول فريري[٤٤]: أننا نختار الكلمات ونقدمها إلي المتعلم وهذه الكلمات المعدة سلفا هو الموضوع الذي يتوسط بين المعلم والطلاب ، والطلاب يمتلئون بالكلمات التي يختارها المعلم مسبقا ، والمرء يكتشف بعدا مهما لصورة الإنسان التي تبدأ في الذوبان ، وهذه الصورة يكون فيها وعي الإنسان مفرغاً ويجب أن يملأ ويغذى لكي يعرف ، وهو نفس التصور الذي توصل إليه سارتر منتقدا فكرة ﴿أن تعرف هو أن تأكل﴾ .

كما يذكر فريري[٤٥]: إن إدخال قيم المهيمن ليست ظاهرة فردية ولكنها أيضا اجتماعية ، وثقافية، ونبذ هذه القيم يتطلب تحقيق نوع من الفعل الثقافي يتم من خلاله إدخال ثقافة محل أخرى، باعتبار أن الثقافة منتجٌ داخليٌ فلابد أن تصبح موضوعا لمعرفة الرجال حتى يدركوا وضع القوة، والفعل الثقافي يحدث في مستوى البنية الفوقية ، وهذا يمكن فهمه بما أسماه التوسير Althusser بجدليات الغلو في الالتزام ، وهذه الأداة

---

(42) سهام محمود العراقي : في فلسفة التربية ، دراسات وبحوث ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، دلتا للكمبيوتر والطباعة ، ١٩٩٤، ص ١٠٤.

(43) محمد نبيل نوفل : دراسات في الفكر التربوي المعاصر ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣ ، ٣٤.

(44) Freire,P., The Politics of Education; Culture, Power and Liberation, Trans. Donaldo Macedo, Op.Cit., p.45.

(45) Ibid., pp. 53-54.

التحليلية تمنعنا من السقوط في تفسيرات ميكانيكية ، أو ما هو الأسوأ وهو الفعل الميكانيكي .

يذكر روبرت ميكاى[٤٦] Robert Makie : إن أفكار الوجوديين الأوربيين أثرت في فكر فريرى وهم : مارتن بوبر Martin Buber وكارل ياسبرز Karl Jaspers وجان بول سارتر Jean Paul Sarter ، وجابرييل مارسيل Gabriel Marcel ، الذين أسهموا في تشكيل جوانب متنوعة لنظرية فريرى ، وبالتغلب على ثقافة الصمت ، فإن المقهورين يستعيدون حقهم في الحوار ، والحوار ضرورة وجودية ، فالعلاقة الأفقية للثقة المتبادلة بين المقهورين تتميز بالحب والأيمان والأمل و الوعي النقدي ، والحوار عند فريرى ليس شكلا من أشكال العلاقات الإنسانية المتداخلة بين فواعل ؛ لا يفسر العالم فقط ، ولكي يسعى إلى تحويله ، وليس تأثيرات ماركس ، فقط ولكن بوبر أيضا ذكره في كتابه : Thou – I.

كما يذكر روبرت ميكاى[٤٧]في موضع أخر : يرفض فريرى التعليم الذي من خلاله يضع المعلم رواسب من المعرفة ويمليها على التلاميذ ، وهذا ما يسميه سارتر بالمفهوم الهضمي للمعرفة Digestive Concept of Education ، وبرنامج فريرى هو تطبيق لنقد سارتر لفكرة ﴿أن تعرف هو أن تأكل﴾ ؛ فالأميون غير متغذيين جداً ليس بالمعنى الطبيعي ولكن أيضاً ينقصهم خبز الروح Bread of Spirit ، والرؤية الهضمية Nutritionist View للتربية هي ضمنية في برامج تعلم القراءة والكتابة ، التي ينخدع فيها الأميون كالجوع للحروف والعطش للكلمات وكان أثر ذلك على فريرى واضحاً جعله يفرق بين الطريقة البنكية وطريقة حل المشكلات .

وتعتبر مسألة تحرير الفرد وحقه في الاختيار من أهم نقاط تأثير الوجودية على فريري ، فتحرير الفرد يعني[٤٨]:

أولاً : أن يتحرر الفرد من الفكرة القائلة بأنه يجب أن يفكر ويسلك مثل الآخرين حتى يكون مواطناً صالحاً ، أن يصبح الفرد حراً يعني أن يفهم موقفه في العالم المملوء بالقلق والحزن .

ثانياً : أن يتحرر الفرد من الوحدة داخل الجماعة ، وأن يدرك قواه ويتعرف إليها ويستخدمها لخلق أو إبداع وجوده الخاص .

---

(46) Makie, Robert (ed.),(1981).Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & Revolution; The Pedagogy of Paulo Freire", by Robert Makie, (ed.), Op. Cit., pp.115-116.

(47) Ibid.,p.117 .

(48) سهام محمود العراقي : التربية في الفلسفة الوجودية ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، مطبعة جامعة طنطا ، ١٩٩٠ ، ص٦٠.

ثالثاً: أن يتحرر الفرد يعني أن الشخص هو نقطة البداية في كل الأنشطة التربوية وأيضاً في كل أنشطة الحياة .

يرى دينس كولنز[٤٩] Denis Collins أن الوجودية أثرت في نظرية فريرى في ثلاثة أوجه وهى :

(١) من خلال كتاباته تأثر فريرى بالعديد من المفكرين الوجوديين منهم سارتر ، وياسبرز ومارسيل ، وهيدجر ، وكمبس ، وبوبر وغيرهم من الوجوديين ، ويصعب فصل تأثير كل فيلسوف على حدة ، وإن كان التعرف إلى اهتمامات وميول فريرى التي اشتقت من الفلسفة الوجودية أمراً واضحاً للقارئ لمؤلفاته حيث يذكر فريري إن وجود الإنسان في هذه الدنيا يتحقق بساعة مولده ، وعندما ينمو يصبح قادراً على إدراك وجوده ووحدته ، والإنسان خلال نموه هو الذي يختار بنفسه مستقبله وماذا سيكون ، فالشخص حر في اختيار وتحقيق جوهره ، والفرد حر يختار ما يريد أن يفعله ، فهو حر في الاختيار والتصرف ومسئول عن أفعاله .

(٢) التأكيد الوجودي على حرية الإنسان في أن يختار ، وهذا مبدأ أولى عند الوجوديين ، وطريقة فريرى تتم بمناقشة المبررات ؛ مثل لماذا يشعر الناس بالقيود في اختياراتهم أو يفكرون في أنفسهم ككائنات تنتمي لغيرهم أفضل من كونهم مخلوقات حرة تنتمي لذواتها.

رابعاً الشخصانية Personalism

الشخصانية مذهب فلسفي إنساني ، يؤكد على مفهوم القيمة واعتبار الشخص البشرى أكبر قيمة في الوجود ، كما أنه يؤكد على أهمية القيم المسيحية بالمعنى الروحي الواسع للكلمة ، وليس بالمعنى الطقسي أو الشعائري ، باختصار فإنه ينتمي إلى تيار النزعة الإنسانية الغربية (هيومانيزم) مع تلوينات مسيحية لا إلحادية ، فمن المعروف أن النزعة الإنسانية المعاصرة تنقسم إلى تيارين عريقين : الأول مؤمن ، والثاني ملحد (على طريقة جان بول سارتر مثلا ومعظم الوجوديين الفرنسيين)[٥٠].

---

(49) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, Op. Cit.,pp.31-32 .

(50) هاشم صالح ، مقال في الحداثة ، مجلد الوحدة ، مجلد فكرية ثقافية شهرية تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ، الرباط ، المغرب ، السنة الخامسة ، العدد ٥١ ، ديسمبر ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨٩.

والشخصانية ليست نظاماً سياسياً أو حتى فلسفة كاملة ، بل إنها رؤية متفائلة للنظر إلى العالم ، ومواعظ للفعل أثرت في شخصية وفكر فريرى[٥١].

ويظهر تأثير الشخصانية على فريري من خلال كتاباته أو من كتبوا عنه مثال ذلك :

كانت هناك إسهامات لرجال اللاهوت في فكر باولوفريرى وهم Henrique de limape Vez , Teilhard De Chardin, Reinhold Niebuher , Emanual Mounir والتي أوضحها فريرى في رؤيته للدين والكنيسة والتربية ، وبالنسبة لفريرى كانت صيغ فيز Vez و تيلهارد Teilhard قاطعة ومفاهيمهم للتنشئة و الأنسنة ، كانت وراء أفكار فريرى عن البشرية والعلاقات الإنسانية ، و الوعي ، والممارسة ، والتوعية ، وخاطب فريرى الناس كمخلوقات في ومع العالم ، وقد شدد على رأى Teilhard بحيث نكون عاكسين نحو أنفسنا والعالم الذي نسكنه ، واستعار منه أن الناس ذوات عارفة ، وأخذ من فيز Vez أن الوعي والفعل في الواقع مكونان لا ينفصلان لتحويل العمل الذي من خلاله يصبح الناس كائنات في علاقة دائمة مع الواقع[٥٢].

كما قرأ أعمال إيمانويل مونيير Emmanuel Mounier وهو مفكر فرنسي مشهور بمقاومته لهتلر حتى وقت مماته فى عام ١٩٥٠ ، ومؤلف لمجلة الروح l'espirit ، وناقد كاثوليكي لكل من المسيحية التقليدية والعقلانية الأوربية ، وجاء فريرى على منواله من بعده ، فهو شخصية جدلية ، فعندما دافع مونيير عن السياسات العملية كان قريباً من التحالف مع الشيوعيين الفرنسيين في فترة ما بعد الحرب ، ومعظم الموضوعات الموجودة في كتابات مونيير وجدت بعد ذلك عند فريرى ، وهو فكرته عن نمو التاريخ ، وبالرغم من الحروب والكوارث فإن التاريخ يقود إلى التحسن والتحرر للجنس البشرى[٥٣].

عبر مونيير Mounier عن الرومانسية الثورية Revolutionary Romanticism بقوله إن اعتقادنا الأساسى هو أن الثورة هي من شئون الناس ، وفاعليتها الأساسية تكمن في الشعلة الداخلية التي تتواصل من شخص إلى آخر ، كما تأثر فريرى بمفهوم مونيير عن الأصالة Authenticity ، كما يظهر تأثير مونيير جلياً على فريرى عندما يؤكد فريرى على الحوار الحقيقي بين القادة الثوريين والناس ، والحوار يسهل الاتصال الإنساني الذي من خلاله يصبح الناس نافعين[٥٤].

---

(51) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, Op. Cit.,p.30.

(52) Makie, Robert (ed.),(1981).Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & Revolution; The Pedagogy of Paulo Freire", by Robert Makie, (ed.), Op. Cit.,p.100 .

(53) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press, Op. Cit.,pp.29-30 .

(54) Makie, Robert (ed.),(1981).Contributions to the Thought of Paulo Freire, In," Literacy & Revolution; The Pedagogy of Paulo Freire", by Robert Makie, (ed.), Op. Cit., p.101 .

اقتبس فريري[٥٥] لكلمات نيبورNiebuhr بقوله :إن المشروع التعليمي إذا ما أعطى للطبقات العاملة الفقيرة فقد يكون متعارضا مع أخلاقهم وسعادتهم لأنه يعلمهم أن يكرهوا أنفسهم بدل أن يعلمهم الخضوع فأنه يعلمهم الجنوح وكما هو الحال في الدول الصناعية فأنه يعلمهم قراءة منشورات التمرد والكتب الفارغة والمطبوعات التي تعارض المسيحية .

بعبارة أخرى يمكن إجمال هذا التأثير للشخصانية على فكر فريري التربوي في تأكيده على قيمة الشخص البشرى وأهميته في مجتمعه ، و أهمية القيم بالمعنى الروحي الواسع للكلمة ، وارتباط الوعي والفعل في الواقع باعتبارهما مكونين لا ينفصلان ، و تأكيده على الحوار الحقيقي بين القادة والجماهير ، ومطالبته للكنيسة النبوية القيام بدورها في نشر القيم الروحية في المجتمع .

خامساً : الظاهراتية Phenomenology

يعرفها القاموس الدولي للتربية[٥٦] بأنها ﴿طريقة نفسية تتعامل مع السلوك من وجهة نظر الفرد﴾ ، أما معجم المصطلحات التربوية[٥٧] فيحدد خصائصها بأنها :

دراسة الظاهرات من حيث وصفها وتصنيفها .

دراسة السلوك الظاهر دون النظر فيماً وراءه .

ومذهب الظاهرات الذي وضعه هوسرل ، يتبنى منهجاً يهتم بالدراسة الحدسية للماهيات بالرجوع إلى الوعي وليس التفسير العلمي الاستقرائي أو الاستنباطي ، ورفض الأخذ بالمعلومات السابقة A Priori أو الخاضعة للتجربة الحسية Sense Experience ، بل يرى أن المعرفة تأتي مباشرةً من الوعي Consciousness ، والوعي هو إدراك المرء لذاته وما يحيط به ، والحقيقة للفرد هي الحقيقة التي تعيش في وعيه[٥٨]. ويظهر تأثير الظاهراتية على فريرى في الآتي :

---

(55) باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

(56) Page,G.Terry& Thomas J.B. with Marshall A.R. (1979).International Dictionary of Education, The English Language Book Society and Kegan page, London, p. 264.

(57) رمزي كامل حنا الله ، وآخرون : معجم المصطلحات التربوية ، إنجليزي / عربي ، لبنان ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٨، ص ٢٨٠ .

(58) نوال الصراف الصايغ : المرجع في الفكر الفلسفي ، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي والتفكير العلمي ، مرجع سابق ، ص٢٣٣.

- مصطلح التوعية Conscientization عند فريرى ، والاهتمام الذي أولاه للحالات الإنسانية للوعي ، جعله مثالياً ويحلم بتغيير ما يدركه الفرد من المجتمع بتغيير بسيط للوعي الإنساني[٥٩].

- تأكيده على الحاجة للتأمل في وعى المرء و الوعي الجمعي[٦٠].

- من الطريقة الظاهراتية لهوسرل تبنى فريرى مبدأ أن اكتشاف الوعي ضروري لمعرفة الواقع ، ويمكن للذات العارفة أن تدرس الشيء المدرك عندما يكون اهتمامها منصباً على ما يظهر من الموضوع أو الشيء المدرك ، وقد قال هوسرل إن الوعي قادر أن يعكس نفسه لكي يعرف تركيبه الخاص ، ووعى الذات المدركة له[٦١].

- استخدم فريرى البحث الظاهراتى للواقع ، و الوعي بالذات ، لكي يكون نموذجا من المعرفة الإنسانية ، وهذا يتم عندما يصل هو وطلابه إلى اكتشاف أنفسهم كجزء من الواقع .

- أولى فريرى أهمية لجانب الممارسة Praxis ، فتتبع الوعي الإنساني ومظاهره يؤدى إلى اكتشاف البعد الاجتماعي للوعي ، كما يعطى قوة في التفكير في الموضوعات[٦٢].

- اهتم فريري بالتجربة الذاتية هي تجربة مشتركة بين الذات و الغير، فهناك يوجد عالم من الذات ، و عالم من الغير ، و هذا يتضمن أني أعيش في ذلك العالم الذي أشارك الغير فيه .

سادساً : تأثره بالعديد من المفكرين

إلى جانب ما سبق ذكره عن تأثير الفلسفات السابق ذكرها على النظرية التربوية عند فريرى ، نجده قد استفاد من آراء العديد من المفكرين ذوى التوجهات المتباينة سواء داخل بلاده أو خارجها.

أولاً : داخل بلاده:

تأثر فريري بالمفكر البرازيلي﴿فرانسيسكو ويفرت ﴾ حين يؤكد أن كل سياسات اليسار معتمدة على الجماهير وعلى وعيها بها فإذا ما اختل هذا الوعي فسيفقد اليسار

---

(59) Denis E.Collins,S.J. Paulo Freire;His Life , Works & Thought, Paulist Press,Op.Cit.,p.31 .

(60) Ibid.,p. 31 .

(61) Ibid.,p. 31.

(62) Ibid.,p.32.

جذوره وسينهار على الرغم من أن اليسار كما هو الشأن في البرازيل يظل يوهم نفسه بأنه يستطيع تحقيق الثورة عن طريق العودة السريعة إلى الحكم[٦٣].

كما تأثر بآراء﴿ بيرا فورتر﴾ في أن العالم لا يبدو كفضاء يفرض علي كتلة من الحاضر يطالبني بأن أتأقلم معها بل هو مجال يتشكل بحسب تصرفي فيه[٦٤].

كما يذكر فريري[٦٥] مجموعة من المربين أثروا في حياته ويقول :هناك اثنان من المربيين البارزين وهما سيسليا برندوا Cecilia Brandoa وأودت أنتيس Odete Antunes ، فقد قدمتا لي المساعدة في التغلب علي بعض الصعاب ، وعلمتني الأولى الموسيقى ، كما أن ألزو باسوا دي أروجوAluizio Passo de Araujo ، فعلت لي الكثير في تعليمي ، فبدون سيسليا كان من الصعب علي أن أكمل الثانوية العامة ، وبدون ألزو لم أكن مكتسبا هذه الحياة الحافلة بالخبرات ، ودفعتني سيسليا إلي اللغة ، ومتعة دراسة النحو بدون العودة إلي علماء النحو .

كان فريرى على اتصال بمجموعة من المفكرين البرازيليين ؛ من بينهم هيليوجا غاريب وأينسيوتكسير ، وورولات كوريتريه وألفارو ميترانتو ، وكانت تستوحى أفكارها من علماء الاجتماع والفلاسفة الأوروبيين من أمثال كارل مانهايم ، وكارل ياسبر وغونا ر ميردال ، و غبريال مارسيل ، وفى المعهد العالي للدراسات البرازيلية في ريو دى جانيرو في الجامعة كان فريرى يقيم اتصالات مع ممثلي هذا المنحى السياسي ، ومع حركات معاصرة أخرى ، وبموازاة أنشطته في داخل الحركة العلمانية (الكاثوليكية) ، وانصرف إلى قراءة مؤلفات كتاب من اليسار الكاثوليكي – جال مازامات ، توما سكاردونيل و مانويل موينه – ومثلهم من التقدميين البرازيليين ، أمثال الودى أمور وزوليجا وهتريك ليحافاز وهريرث حوسه دى سوزا[٦٦].

وتأثر فريرى كثيراً ، في تلك الحقبة ، بالمحامى والفيلسوف روى باربوزا ، وبالطبيب كارنيرو ريبيرو؛ المفكرين البرازيليين الكبيرين اللذين تخطى فكرهما حدود تخصصهما[٦٧].

---

(63) باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص ص١١٠ ، ١١١.

(64) المرجع السابق ، ص٧١.

(65) Freire,P. (1996).Letters to Cristina;Reflections on My Life and Work, Trans. Donaldo Macedo,Quilda Macedo and Alexandre Oliveira Routledge, New York& London, pp. 49-50.

(66) هنز بتر جرهارد : باولو فريري (١٩٢١.....) مفكرون من أعلام التربية ، المجلد الأول ، مجلة مستقبليات ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠

(67) المرجع السابق ، ص ٢٣٨

كما تأثر فريرى بالمفكر الكاثوليكي السودى دى أموروزو ليمو وبأنيسيو تيكسيرا معلم المدرسة الجديدة ، فراح يعمل في عدد من رعايا الكنائس في ريسايف ، مشاركاً في أنشطة على مستوى القاعدة الكاثوليكية ، ويذكر على سبيل المثال المشروع الذي نظم في رعية ﴿كازا أماريلا﴾ في ريسايف ، فقد تعاونت ست وحدات تربوية تابعة للرعية ، من الروحية حتى دروس تعليم الكبار في إعداد مناهج تعليمية وفى تدريب المعلمين[٦٨].

ثانياً : من الخارج :

- اقتبس من هيجل ما قاله عن ظاهرة العقل عندما يذكر : إنه فقط وبالمخاطرة بالنفس تتحقق الحرية للإنسان ، وعلى الرغم من أن الإنسان الذي لا يجرب حياته قد يعترف به الناس ﴿ شخصاً ﴾ فإن مثل هذا الإنسان لا يستطع أن يمارس حقيقة وجوده كشخص إلا حين يتحلى بالوعي الذاتي[٦٩].

- تأثره بعالم اللغويات نعوم شومسكيNoam Chomsky عند تحدثه عن فكرة التشفير ، فيذكر فريري[٧٠] في كتابه ﴿الفعل الثقافي في سبيل الحرية ﴾ : إن هذا النوع من الخطاب اللغوي لابد أن يقرأ من كل شخص يحاول أن يفسره ، عندما يكون معروضا في شكل صور نقية مثلما سماه شومسكي ﴿البناء الظاهري﴾ و﴿البناء العميق﴾.

- تأثره بعالم الاجتماع التشيلي ماريا إيدى فريرا Maria Edi Ferreira عندما يذكر فريري[٧١] :هناك في بعض المناطق في تشيلي التي خضعت إلى عملية الإصلاح الزراعي ، يقوم الفلاحون بالمشاركة في برامج تعلم القراءة والكتابة حيث يدونون الكلمات بأدواتهم على الطرق القذرة حيث يعملوا ، فهم يكونون كلمات من وحدات مقطعية قد تعلموها ، ﴿فهؤلاء الرجال هم زراع الكلمة ﴾ كما قال عالم الاجتماع ماريا إيدى فريرا من فريق سنتياجو وكان يعمل في معهد التدريب والبحث في الإصلاح الزراعي .

- استعار فريري من عالم التحليل النفسي إريك فروم Erich Fromm نوعين من الشخصية وهما :الشخصية البيوفيلية (تتميز بالدينامية ، ولا تنغلق على ذاتها ، منفتحة على العالم) ، والشخصية النيكروفيلية (تحب كل ما هو آلي ، وتنظر إلى الحياة نظرة

---

(68) المرجع السابق ، ص ٢٣٩

(69) باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة/ يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص ٢٠

(70) Freire,P.Cultural Action for Freedom, Published by Harvard Education Review, Op.Cit.,p.14

(71) Ibid.,p.22

ميكانيكية كما لو كان الأشخاص أشياء) ،فيذكر فريري[٧٢] : إن المشروع الثوري الحقيقي هو بعد طبيعي في المدينة الفاضلة ، فهو عملية يقوم الناس فيها بدور فاعل لتغيير وخلق عالم جديد ، واليمين معارض لهذا المشروع ويحاول أن يوقفه ، وهكذا يمكن أن نستخدم مصطلحات إيرك فروم ، وهى أن المدينة الفاضلة هي مدينة بيوفيلية ، بينما اليمين يمثل المدينة الفاضلة النيكروفيلية.

– وتأثر بالمفكر المشهور ﴿فرانز فانون﴾ عندما يذكر فريري[٧٣] : قول ﴿فرانز فانون﴾ في كتابه ﴿معذبو الأرض﴾: أن المستعمر ينفس عن الظلم المتراكم في عظامه أول مرة في أبناء طينته ، ففي هذه المرحلة يبدأ الزنوج في ضرب بعضهم بعضا ، وفي هذه المرحلة لا يعرف البوليس أو القضاة في شمال أفريقيا الوجهة التي يتجهون إليها ، ففي الوقت الذي يضرب فيه المقيم أو رجل البوليس المواطن حتى يجعله يجثو على قدميه فإن هذا المواطن تجده لا يستل سكينه أو يثأر لنفسه إلا من أول بادرة تبدر من أحد مواطنيه ولعله بانتقامه من مواطنيه يحتفظ لنفسه بآخر الخيوط التي تتعلق بها شخصيته .

– وأخذ من ﴿جولدمان﴾ الوعي الحقيقي والوعي الكامن ، فالوعي الحقيقي يوحي بعدم إمكان تجاوز الإمكانات غير المجربة ، ولكن من خلال التجربة يدرك الإنسان إمكانية هذا التجاوز ، وبذلك يتحقق وعيه الكامن ، وهكذا فإن الوعي الكامن في مفهوم ﴿جولدمان﴾ هو شبيه بمفهوم ﴿ نيكولاي ﴾ ﴿الحلول العملية﴾ غير المنظورة ، في مقابل الحلول الآنية المنظورة التي تقابل مفهوم ﴿جولدمان﴾ ﴿ الوعي الحقيقي ﴾[٧٤].

سابعاً : المميزات الشخصية

وإلى جانب ما ذكرناه عن نشأته وحياته و أثر التيارات الفكرية السابقة على النظرية التربوية عند فريري والتى سبق عرضها ، فإن هناك مميزات شخصية ميزته عن غيره من المربيين ، ونذكر منها الآتي :

– ما ذكره فريرى[٧٥] في كتابه تربية المدينة عن نفسه : بأنه لم يولد مدرساً ، وأنه اتصف بعدة مميزات شخصية كانت عاملاً رئيسياً في قدرته على تشكيل النظرية التربوية الخاصة به ، ومنها حب الاستطلاع ، حيث التساؤل والثبات الشخصي ، وحب المغامرة ،

---

(72) Ibid.,p.42

(73) باولو فريري : تعليم المقهورين ، ترجمة / يوسف نور عوض ، مرجع سابق ، ص ٤١.

(74) المرجع السابق ، ص٨٣.

(75) Freire,P., (1993).Pedagogy of the City, Trans.Donald Macedo,The Continuum, New York,p.95.

واحترام الذات والثقة في الآخرين وهى صفات جعلته يؤكد مراراً على أن البشر يصبحون أكثر إنسانية ، والحرية تعنى مزيداً من القدرة على الاختيار .

- ويذكر موريس أسعد[٧٦] وهو أحد من عمل مع فريرى في مجلس الكنائس العالمي لمدة ستة أعوام : إن ملامح شخصية فريرى بدت له كإنسان ، وكصديق ، وكمعلم ، فعندما تجلس مع فريرى فإنك تجد نفسك أمام إنسان بسيط ، بلحيته الكثة التي تشبه لحى الرعاة في ربوع البرازيل ، يتحدث معك بلغة سهلة ، وبفكر واضح ، وبإيمان عميق ، فتنصت إليه بانتباه كامل ، لئلا تفوتك كلمة من فيه ، فقوة عبارته النفاذة لابد أن تؤثر في فكرك ، وفى النهاية فإنك أمام مرآه تكشف لك عن خبايا نفسك وعلاقاتك بغيرك ، ولابد أن يثور تفكيرك بوجه أو بآخر ، ولابد لك أن تراجع بعض الأساسيات في تفكيرك .

- ويذكر عبد الراضي إبراهيم[٧٧] : أن باولوفريري مبادئا بالعمل الاجتماعي في شمال شرق البرازيل ، ذلك الإقليم الذي يتميز بفقره الشديد ، وقد أكسبته هذه المبادأة خبرة ذاتية في هذا المجال ، اكتسبها خلال العقدين التاليين للحرب العالمية الثانية ، إذ كانت هذه السنوات مفعمة بنشاطه في مدينة ريسايف ، ذلك النشاط الموجه إلي تعليم الكبار الأميين وتنميتهم ، ولذا تعتبر هذه السنوات منبعا أساسيا في تكوينه الفكري وتطوره ونموه، بل ونضجه .

- ويتحدث مورای كوكس[٧٨] في مجلة أمني Omni عن فريري عندما أجرى حديثاً لمجلته قائلاً : ولكن بمجرد أن بدأ الكلام ، حتى بدا لي من الواضح تماماً أنه ليس بالرجل الضعيف ، إنك لو جلست مع فريري ستستشعر مدى قوته ، تلك القوة التي تنبع من حقيقة بسيطة ، هي نضاله الطويل لتحقيق معتقداته ، ومعظمنا غير معتاد على هذا النمط من الأشخاص .

والخلاصة أن تفكير فريرى تأثر بالماركسية ، والشخصانية ، والوجودية ، والظاهرانية ، والمسيحية ، وبقيمه الذاتية ، ومع ذلك لا يمكن القول إن فريرى انتقائي Eclectic ، بل هو يتكامل مع العناصر الرئيسية للعقائد الفلسفية المختلفة ، بدون تكرار لها بطريقة

---

(76) موريس أسعد : باولو فريرى.... فيلسوف من ريف البرازيل ، مجلة الكاتب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عدد مايو ١٩٧٧، ص ٣ .

(77) عبد الراضي إبراهيم محمد : نظرية باولو فريري في تعليم وتنمية الكبار ، مجلة دراسات تربوية ، مرجع سابق ، ص٨.

(78) مورای كوكس : حوار مع باولو فريري ، مجلة "أومنى " الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، أبريل ، ١٩٩٠ ، ترجمة / سها حسن ، مرجع سابق ، ص٣٠.

ميكانيكية أو منحازة[٧٩]. ويخلص الباحث بعدة نتائج من هذا الفصل وهى :

١ـ أثبتت الدراسة تعدد المنابع الفكرية لنظرية فريري التربوية مما جعلها ذات طابع خاص ، فقد جمعت بين الفكر والتطبيق .

٢ـ تأثره بالماركسية ، وظهر واضحا في ذكره العديد من المفكرين الماركسيين مثل :ماركس ، وكارل كوسك ، وتشى جيفارا ، وكاميليو توريس ، وآخرين .

٣ـ تأكيده على أن الإنسان فاعل في المجتمع نبع من تأثره بالوجودية و مفكريها وعلى رأسهم المفكر الفرنسي جان بول سار تر.

٤ـ مناداته بالكنيسة النبوية وتأييده لمبادئ لاهوت التحرير ، جاء من تأثير المسيحية الكاثوليكية .

٥ـ ظهر تأثير الشخصانية في إصراره على الحب بين القاهرين والمقهورين في تعاملاتهم بعد الثورة ، وتأكيده على الحوار الحقيقي بين القادة والجماهير .

٦ـ كما ظهر تأثير الظاهراتية في مفهوم التوعية عند فريري .

٧ـ تأثره بمفكرين عظام ، أقتبس منهم بعض مصطلحاتهم التي أعانته في تفسير الوضع القائم مثل : الشخصية البيوفيلية ، والشخصية النيكروفيلية والتي أخذها من فروم .

٨ـ مميزاته الشخصية من تواضع وصبر جعلته يقبل الرأي الأخر ، والتسامح مع من اختلفوا معه ، كما علمته تحمل الصعاب في مرحلة النفي .

وبعد أن عرضنا في الصفحات السابقة المنابع الفكرية لنظرية فريري التربوية ، سيأتي الحديث عن المحور الخاص بالبعد الفلسفي للنظرية التربوية للإجابة عن التساؤل الفرعي الرابع ألا وهو : ما الأبعاد الفلسفية للنظرية التربوية عند باولو فريري ؟ وستدخلنا الإجابة عنه إلى الفصل الخامس من فصول الدراسة .

*****

(79) Gadotti,Moacir,Reading Paulo Friere;his Life and Work, Trans.John Milton, Op. Cit., pp. 120-121